الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

قواعد في الفهم

ومختارات من حكم ابن عطاء الله

وبيان التوسل

أبو الطيب الحسن

نحو وعي إسلامي شامل
قواعد في الفهم

١ - أهل السنة والجماعة :
هم السواد الأعظم وهم جمهرة الأمة الإسلامية وهم حزب الله والطائفة الظاهرة المنصورة والجماعة الإسلامية والوريث التاريخي للسلف الصالح . أما فرق الغلو التابعة لأهل السنة والجماعة أو المنشقة عنها فلن يكونوا بديلا عن أهل السنة في قيادة الأمة إلا استثناءً .
اختلاف أهل السنة في فروع من العقيدة أو الفقه أو أصول الفقه أو في قبول أو رد بعض المرويات يعطي السعة والمرونة والتيسير أما الدخول في معارك وهمية بسبب ذلك فهذا هو عين التفرق المذموم بغيا بينهم أو اختراقا من أعدائنا .

أجمع العلماء على أن الله لا يعذب فيما اختلف فيه العلماء ولا يعذب فيما يثيب عليه .

(لا يعذب التابع فيما يثيب عليه المتبوع فالمجتهد مثاب مرة إذا أخطأ أو مرتين إذا أصاب) .

٢ - هناك حكم شرعي وحكم عقلي مستمد من بدهيات وقطعيات العقول وحكم عادي - وهو ما حكمت به العادة والتجربة على وجه الاطراد مثل أن النار تحرق والسكين يقطع - ولا يبطل أحدهم الآخر فالكل من عند الله تعالى ولكل واحد منهم محل بالنسبة للآخر ولا يتناقض قطعي من الشرع مع قطعي من العقل أو قطعي من العادة لكن قد يتناقض في الفهم قطعي مع ظني وحينئذ يؤوّل الظني ويُحمل على القطعي جمعا بين الأحكام والأدلة وقد وضع العلماء قاعدة سجلها الإمام المنذري في الترغيب والترهيب عند كلامه عن بعض المرويات الضعيفة مثل حديث تثبيت القرآن وهي : قد جربناه فوجدناه حقا وهذه قاعدة تعتمد الحكم العادي لترجيح قبول الضعيف من المرويات وهناك

قاعدة أخرى عند العلماء الأولياء وهي اعتماد الإلهام الصادق الصحيح من أهله ومن مظانه وبشرطه لقبول أو رد المرويات والأمر قريب .

٣ - فخ عظيم : التجرؤ على بعض المرويات والاستخفاف بها ! فلربما كان ما تراه ضعيفا هو صحيح في حقيقة الأمر ولا تقل : الصياغة ركيكة فلربما رواها الراوي بالمعنى وهذا جائز عند البعض ولم أر في كتب السلف تجرؤ على النصوص وتسمية كتاب بإسم : الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة بل كانوا يحترمون النصوص ، وأدب المسلم مع النصوص حتى لو كانت نصوص أهل الكتاب : حدثوا عنهم ولا حرج ، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم (فيما لا يتناقض مع الدين) .

إن الاستخفاف ببعض النصوص يعكس مرضا في النفس أو مؤامرة على الدين وتشكيكا فيه باسم الدين وباسم التحقيق أو إشعار الأمة بأن الصواب حكر على س أو ص من الناس فينفر الناس من النصوص جملة أو يصيروا أسرى لطائفة بعينها - ولكن يكفي المحقق تخريج النص وذكر آراء علماء السلف فيه ويترك الباب مواربا لإحتمال الصحة فإذا اختلفنا في رد نص أو قبوله فالأمر بسيط وسيترتب على ذلك سعة ومرونة . والحديث الشريف ومجهود الأمة الضخم والجبار في تمحيص النصوص مما لم يكن في أمة من ذي قبل ومما هو معجزة وميزة لهذه الأمة ؛ ؛ ؛ لا يجعلنا نضيع أوقاتنا في الأخذ والرد والجدل في شأن النصوص ثم لا عمل وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ..

وانظر رحمك الله إلى أبي داود رضي الله عنه قال : انتخبت كتابي هذا الأربعة آلاف حديث من أربعمائة ألف حديث أحفظها ويكفي المرء منها لدينه أربعة أحاديث : الأعمال بالنيات - الحلال بين والحرام بين - من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد - من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ..

وصراحة يكفيني وأنا أقرأ للأئمة ما اعتمدوه وما جمعوه من النصوص في مصنفاتهم : يكفيني الالتزام بشرطهم الذي ذكروه أول الكتاب وحتى ما ينطبق عليه شرط الإمام في الحكم بضعفه فهذا لا أبادر إلى عدم اعتماده بل اعتماد المصنف وإيراده لهذا النص في مصنفه له دلالة : إما احترام هذا النص فربما يكون صحيحا أو أن فيه عبرة أو أنه صحيح المعني وغير ذلك . فالأمر مقارب وسهل وأهل الجنة كل سهل هين لين قريب طالما لم تخالف المروية قطعيا في الدين والأولى إعمال النصوص لا تعطيلها ولا ضرب بعضها ببعض فإن لم يمكن إعمالها جميعا أعملنا النسخ إن كان هناك نسخ أو الترجيح لكن على قاعدة احترام المرويات .

٤ - علم الحديث لا يغني عن الفقه فقد كان المحدث يسأل الفقيه عن الواقعة ويستفهمه عن دليل الفتوى فيقول له من النص الذي حدثتنيه بالأمس فالفقيه يجمع بين علوم كثيرة حتى يتسنى له الفتوى والفقيه يستنبط من النص الواحد عشرات الأحكام وقد يقبل حديثا ضعيفا ويرد صحيحا لاعتبارات وموازين تخفى على المحدث وغير المتخصص وقد تخالف فتواه واجتهاده بعض النصوص ذلك لأنه يبني حكمه على مجموع أصول وقواعد ونصوص وسياق عام ومقاصد شرعية .

٥ - الحسن ما كان على نهج الشرع وحقق مقصده سواء فعله السلف أم لم يفعلوه والمسلم مكلف باتباع ورثة رسول الله واختلافهم رحمة وإجماعهم حجة،
المسلم غير مكلف باتباع فهمه لنصوص الشرع ولا بالترجيح بين النصوص واجتهادات أهل الذكر .

٦ - ما لم يفعله النبي والصحابة :
وكان على نهج النبي والصحابة
أو لم ينه عنه النبي والصحابة
أو دعت إليه المصلحة المعتبرة
أو الظرف المتغير المعتبر

أو التطور المعتبر
أو العرف الصحيح
فهو المشروع المنزول منزلة ما فعلوه .
وبالتالي فإن إحياء المواسم والمناسبات والغـزوات الإسـلامية بالصورة المقبولة في الشرع أمر حسن .

٧ - الأوراد والأحزاب والأذكـار والـرقى الـتي على نهج الشـرع هي من الشـرع وهي سـنن مسـتنبطة ومـا ورد من ذلـك في نصوص الشرع إنما هو نموذج للقياس عليها .

٨ - تخصيص عام أو تقييد مطلق من العبادات بزمان أو مكـان بغير ادعاء
أفضلية أو تقييـد أو تخصـيص من الشـارع أمـر فيـه سـعة بين العلماء فإذا
جاء أيا كان ليتشنج أو يفرض رأيا بعينه قيل له :
ليس لـك ذلـك بـل لـك أن تتبـنى مـا تشـاء من المـذاهب والاتجاهات
لكن لا تفرضها فتصير مبتدعا .

٩ - ينبغي الاسـتفادة من أصـحاب الفهم الحـرفي والظـاهري للنصوص أمثال ابن تيمية وابن حزم رحمهما الله بغـير افتتـان متجنـبين الشـذوذ والخطـأ والمخالفـة لجمهـرة الأمـة وادعـاء الإجمـاع ثم إن اتبـاع أئمـة المـذاهب الأربعـة وأهـل الاجتهـاد المطلـق أولى من اتباعهمـا . وأهـل العلم يسـتفيدون منهمـا دون غـيرهم من القاصـرين حيث يشـعر القاصـر حين يطـالع آراءهم أن الحق حكر عليهم وهذا شديد الخطورة على وحـدة الأمة .

١٠ - دعاء غير الله أو الاستغاثة والاستعانة به بوصف الألوهية وعلى اعتقاد أن ذلك الغير له فاعلية وتأثير ذاتي مع الله أو من دونه فهو الشرك الأكبر أما إذا كان بوصف السببية فهذا من نظام التوحيد .

١١ - لا نلوم خلافة بني عثمان في أخذها موقفا من الروافض ومن مدرسة محمد بن عبد الوهاب فكلاهما تآمر على الخلافة وصوب سلاحه ضد المسلمين .

١٢ - الأخذ المباشر من النصوص بغير أهلية أو ضرب النصوص وأقوال العلماء بعضها ببعض أو اتباع الشاذ والمفرق لوحدة الأمة أو الحكم على ضمائر الناس وإيمان الأمة نهج الخوارج .
السلفي الحق هو صوفي والصوفي الحق هو سلفي وكلاهما مجاهد مقاوم للفساد والنفاق متفوق في البحث العلمي لتحقيق العزة للحق وأهله ونفع الإنسان .

١٣ - التحالفات والأساليب والأشكال والصور والآليات والمنظمات تحمد أو تذم بحسب توافقها مع مقاصد الشريعة ويعتمد الإسلام الصالح النافع الموجود ولا يهدم كل ما سبقه : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها وأينما وجدت المصلحة (بضوابطها) فثم شرع الله .

١٤ - شورى أهل الحل والعقد والاجتهاد الجماعي والسياسة الشرعية والفتوى البصيرة من أهلها هي التي تحدد كيفية مسير الأمة في ظروفها العادية والاستثنائية (ظروف القوة والضعف) في عقد التحالفات والمعاهدات ، والهدنة أو المواجهة ، والمحاسنة أو الرد بالمثل والكينونة مع من أو ضد من وغير ذلك .

١٥ - الكينونة مع الصادقين " اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "

الذين يضعون أنفسهم وأمتهم في السياق الصدق والسياق الحق لا سياق التزوير والزور .
وما هو سياق الصدق والحق :
هو سياق الجماعة لا سياق الفردية والأنانية .
وهو سياق تدين الموالاة والمعاداة والحب والبغض والعطاء والمنع لله وفي الله أو تدين الدين لله والكل لله أو تدين وسطية وشهادة وقوامة الأمة على العالمين وإقامة دين الله في الأرض والضمير والخلافة عن الله في ذلك أو تدين تلازم الحق مع القوة لا التدين السلبي الخانع الخاضع الضعيف ولا تدين دع ما لقيصر لقصير وما لله لله .
وهو سياق الكليات والأصول المتضمن الفروع والجزئيات لا سياق الإغراق في الجزئيات والفروع على حساب تضييع الأصول والكليات .
وهو سياق التدين بكل الحق لا بعضه أو سياق " ادخلوا في السلم كافة " لا سياق تدين التبعيض والتجزيء تدين " الذين جعلوا القرآن عضين " " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض " .
وهو سياق واجب الوقت وفروض العصر وتجميع الأمة لا سياق التدين الموجه للتخدير والإلهاء والإشغال والغرق في الجدال
وتفريق الأمة أو سياق الغرق في التدين العاطفي .
وهو سياق التدين الصحيح لا التدين الآمن المريح .

وهو سياق تدين العزة مع التواضع لا تدين الاستعلاء على الناس والذل مع أصحاب النفوذ .
وهو سياق تدين الصدع بالحق والموعظة الحسنة والجهاد الرباني في محله ووقته وظرفه لا التدين القعود المدخلي أو التكفيري الاستعلائي المزاجي التشنجي .

وهو سياق " وجاهدهم به - القرآن - جهادا كبيرا " لا سياق " رضوا بأن يكونوا مع الخوالف " .

وهو سياق تدين الحقائق المتضمن للمظاهر أو تدين " إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا " لا التدين المظهري المضيع للحقائق أو تدين التبييض والغسيل والتنويم .

وهو سياق حكم الفهم المقاصدي على الفهم الحرفي النصوصي لا العكس .

وهو سياق التدين التاريخي أو تدين السواد الأعظم لا التدين الموجه القائم على أخطاء وشذوذ بعض المنتسبين للعلم .

" لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون " " ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون " .

١٦ - تصدق مسميات أهل السنة على : الأشاعرة والماتريدية وأصحاب الحديث والمذاهب الأربعة والصوفية والظاهرية وشيعة أهل البيت - المعتدلين - الذين لايسبون الصحابة والتجمعات الإسلامية العاملة لنصرة الدين...والضابط لذلك أن من يلتزم بمدارس أهل السنة في العقائد والفقه والسلوك فهو من أهل السنة ....وحزب الله في حال فقد الخلافة - أو تعددها - هو كل تجمعات أهل السنة التي تعمل لإقامة الدين

في الأرض والضمير فكل تجمع منها هو جماعة من المسلمين وليس هو جماعة المسلمين وحده دون الآخرين . وفي حال وجود الخلافة الواحدة فالخليفة ومن معه هو الممثل لجماعة المسلمين وحزب الله .

١٧ - ومسمى الفرق الضالة وأهل البدعة يصدق على : المعتزلة وغلاة الشيعة والخوارج وغلاة المرجئة والقدرية والجبرية والجهمية والباطنية والقرامطة والدروز والإسماعيلية والنصيرية والحشاشين والحلولية والاتحادية والمشبهة والمعطلة والقاديانية والبابية والبهائية والإباحيين والقرآنية الذين ينكرون السنة واليزيدية عباد الشيطان والشيوعية

الملاحــدة والمعطلــة العلمانيــة الــذين يعطلــون تطــبيق الشريعة....وغير ذلـك وبعض الفـرق تتفـرق إلى فـرق أخـرى فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.....

وبعض هـذه البـدع كفـر وردة وبعضـها فسـق وبعضـها بدعـة خفيفة وبعضها يقترب من مسمى أهـل السـنة وبعضـها يبتعـد بحسب نسبيات الابتداع . كما أن بعض أهـل السـنة يقـترب أو يبتعد قليلا أو كثـيرا من مسـمى فـرق الضـلالة بحسـب نسـبة البعد عن منهج أهل السنة .
راجع الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي .

● النصوصية الحرفية وخطرها على وحدة الأمة

في القلعة قال ابن تيمية : أنا أتبع السنة قال ابن عطاء الله : أنت تتبع فهمك للسنة .
ابن تيمية واحد من أهل العلم وليس هو كل أهل العلم وليس من علماء السلف فهو مواليد ٦٦١ هجرية فلا ينبغي الافتتان بأحد أهل العلم وتحكيمه على كل الأمة أو جعله معصوما فالمسلم ينبغي أن يأخذ من ابن تيمية وغيره أما أن يكون أسيرا لأخطائه فهذا أمر دبر له بليل نأخذ صوابه الذي شارك فيه أهل العلم ونجتنب الشذوذ وإذا كان ابن تيمية يتفق مع أهل العلم في أمور يمكن الاستفادة منها لكن هناك في فكره جنوح للتكفير والتسرع في الحكم بالبدعة والشرك على المخالف .

خرح ابن تيمية على الأمة بفكر حرفي نصوصي فأتى بالعجائب وحكم على الأمة بالكفر والبدعة والشرك والضلال مدعيا بحاله أو قاله تفرده بالحق والصواب (قوله بنقض المنطق ونفي المجاز في القرآن وفناء النار وموافقته الفلاسفة في قالة كفر وقوله الشنيع في زيارة قبر النبي وحطه من الأولياء وإيراده العقائد بما يوهم التشبيه واتهامه للعلماء بأنهم معطلة وجهمية ولا ننكر على ابن تيمية ما وافق فيه الأمة لكن ننكر أخطاءه وشذوذه وتناقضاته) وادعى أنه بذلك إنما يتبع السنة فرد عليه ابن عطاء الله : أنت إنما تتبع فهمك للسنة . وأصر على آرائه وكانت الأمة قوية حينئذ فأوصى علماء العصر السلطان بسجنه حسما لمادة الفتنة والفوضى والفرقة . واستنسخ البريطانيون أخطاء ابن تيمية المفرقة للأمة - وتجاهلوا ما ينفع الأمة من آرائه - وزرعوا

مدرسة ابن عبد الوهاب وساعدوا هـذه المدرسـة على فـرض مذهبها على الأمة بالحديد والنـار والضـجيج ومحاربـة الخلافـة العثمانية وأنكر علماء العصر هذه البدعة وقاوموها .
هذه البدعـة الحرفيـة النصوصـية تجعـل من كـل مسـلم كبـير نفسه ومجتهد نفسه وعالم نفسه فالنص واضح ولا اجتهاد مـع النص والنص الصحيح مع أتباع مدرسة ابن عبد الوهـاب فقـط فلا حاجة للفقهاء والصوفية والمتكلمين ! فحـدث الفصـل بين المسـلم وتاريخـه ورمـوزه وعلمائـه ومربيـه وحـدثت الفرقـة والضعف والتشكيك .

وهذا الفصل بين الأمة وسلفها الصالح وتدينها التاريخي يشـبه الفصـل العلمـاني بين الأرض والسـماء وبين الـدنيا والآخـرة ويشبه الفصل الشيعي بين الصحابة وآل البيت ؛ بـدع الفصـل تهدف للهدم والتفريق والإضعاف والتشكيك .

اتبـاع النـووي وابن حجـر والسـيوطي والعـز ابن عبـد السـلام والأئمـة الأربعـة أولى من اتبـاع ابن تيميـة وابن حـزم حسـما لمادة الفرقة ورضي الله عن الجميع .
وسياقي هو الخروج من فتنة طائفة المداخلة الخـوارج الـذين تقـف وراءهم جهـات ودول ومشـروع غـربي وهـذه الطائفـة خوارج على الأمـة وحركاتهـا العاملـة ومداخلـة مـع المشـروع الغربي أو مع أعوان هذا المشروع .

١

اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك ؛ فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد .

متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك .
ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك .
خير ماتطلبه منه ما هو طالبه منك .
مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية .

ربما دلهم الأدب على ترك الطلب ؛ اعتمادا على قسمته ؛ واشتغالا بذكره عن مسألته .

ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه ؛ لاكتفائه بمشيئته ، فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته ؟! .

لا تمدن يـدك إلى الأخـذ من الخلائـق إلا أن تـرى أن المعطى فيهم مولاك ، فإذا كنت كذلك فخذ ما وافق العلم .

طلبـك منـه اتهـام لـه ، وطلبـك لـه غيبـه منـك عنـه وطلبـك لغيره ، لقله حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه .(يكون الطلب اتهامـا حين يكـون الطلب مـع الغفلـة عن عنايـة الله وحكمته وقدرته ولطفـه وكـأن العبـد يُـذّكر ناسـيا أو ينبـه غـافلا أو حين لا يـرى العبـد أن طلبـه مقـدر أزلا لكن يكـون الطلب عبودية) (والذي مـا زال في مرحلـة الطلب والقصـد والإرادة فهو لم يصل بعد فليبذل مجهوده أكـثر) (اسـتجابة الدعاء لا تكون حصول أو دفع ما يريده العبد بعينـه دائمـا لكن بأي صورة للاسـتجابة : إمـا ثـواب أو دفـع بلاء أو رفـع مؤونـة يتسـبب وجودهـا في ضـغوط وحسـرة أو رزق قناعـة تعـوض الفقدان أو عدم شـعور بـالمؤلم فيصـير البلاء كـأن لم يكن أو غير ذلك ،
وهنـاك فـرق بين الطلب والـدعاء : الـدعاء مظهـر للعبوديـة وعلى التفويض والتسـليم والرضـا وبلا اقـتراح وسـواء تحقـق المقصود أم لا فصاحبه مستمر في السؤال سواء كـان واجـدا أو كان فاقدا ، أما الطلب فهو لأجل الحظوظ وعلى التحجير (فرض صـورة بعينهـا للاسـتجابة) والاقـتراح وصـاحبه راضٍ إن أعطي ساخط إن لم يعطه .
هناك من يعبد الله ويجـد لذتـه وسـعادته في ذلـك وهنـاك من يعبـد هـواه ويتخـذ عبادتـه للـه سـلما لحظوظـه وشـهواته وحاجاته .
ولذلك يقال أن العبد حق العبد هو من يسأل الله العفـو ورفـع الدرجات وغير ذلك من أمور الآخرة لمحبـة اللـه لـذلك وليس لحظ العبد في ذلك .

إنما يُذّكر من يجوز عليـه الإغفـال ، وإنمـا ينبّـه من يمكن منـه الإهمال .

لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه ، فيقل فهمك عنه ، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحق الربوبية .

كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق !؟ جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل .

عنايته فيك لا لشيء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايته ، وقابلتك رعايته !؟ لم يكن في أزله إخلاص أعمال ، ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال ، وعظيم النوال .

لا تتعد نية همتك إلى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال .

لا ترفعن إلى غيره حاجة ، هو موردها عليك ، من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا !؟ .

لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال . لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك .

□□□□□□□□□

٢

الغافل إذا أصبح ينظر : ماذا يفعل ؟ والعاقل ينظر : ماذا يفعل الله به ؟ .

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذا الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها ، وواجب نعتها .

ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه .

إنما جعلها محلا للأغيار ، ومعدنا للأكدار ؛ تزهيدا لك فيها إن رغبت البدايات زهدتك النهايات : إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن .

علم أنك لاتقبل النصح المجرد ، فذوقك من ذواقها ما سهل عليك وجود فراقها .
متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .

إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء ، حتى لا يشغلك عنه شيء .
متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .
ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار .

من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .
إن لم تحسن ظنك به ، لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به ، لأجل معاملته معك ، فهل عودك إلا حسنا !؟ وهل أسدى إليك إلا مننا !؟ .

ربما وردت الظلمة عليك ؛ ليعرفك قدر ما من به عليك .
من لم يعرف قدر النعم بواجدانها عرفها بوجود فقدانها .

□□□□□□□□

٣

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك ، فإنه مافتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن

التعرف هو مورده عليك ، والأعمال أنت مهديها إليه ! وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك .

ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غـير مـا أظهره الله فيه .

إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس .

لا تترقب فراغ الأغيار ، فإن ذلك يقطعك عن وجـود المراقبـة له ، فيما هو مقيمك فيه .

تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوقك إلى ما حجب عنك من الغيوب .
كيف تخرق لك العوائد ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد .
اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف منـاقض لعبوديتـك ؛ لتكون لنداء الحق مجيبـا ، ومـن حضرته قريبا .

العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك .
من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا :إذ ليس التواضـع إلا عن رفعة ؛ فمتى أثبت لنفسـك تواضـعا فـأنت المتكـبر حقـا .
ليس المتواضع ، الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صـنع ، ولكن المتواضع ، الذي إذا تواضـع رأى أنـه دون مـا صـنع . التواضـع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته ، وتجلي صــفته .
لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف .

أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظـة وعفـة ، عـدم الرضـا منــك عنهـا ولأن تصـحب جاهلا ، لا يرضى عن نفسـه خـير لـك من أن تصـحب عالمـا ، يرضى عن نفسه ، فأي علم لعالم ، يرضـى عن نفسـه ؟ وأي جهل لجاهل ، لا يرضى عن نفسه ؟ .

قوم تسبق أنوارهم أذكارهم ، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم ، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم ، وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك .
ذاكر ذكر ؛ ليستنير قلبه ، وذاكر استنار قلبه ؛ فكان ذاكرا ، والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدى ، وبنوره يقتدى .
ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر .
أكرمك بكرامات ثلاث : جعلك ذاكرا له ، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به ؛ إذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكورا عنده ، فتمم نعمته عليك .
لا تترك الذكر ، لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة ، عما سوى المذكور ، "وما ذلك على الله بعزيز" .

لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته ؛ فإن ذلك يقل عملها في قلبه ، ويمنعه وجود الصدق مع ربه .
ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك ؛ استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك .

من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ، ومعبرا عن كل ما شهد ، وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله .

□□□□□□□□□

٤

ربما أطلعك على غيب ملكوته ، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد .

من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه ، وسببا لجر الوبال إليه .

من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك .

ما صحبك إلا من صحبك ، وهو بعيبك عليم ، وليس ذلك إلا مولاك الكريم ، خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه .
ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا ، أو يطلب منه غرضا ، فإن المحب من يبذل لك ، ليس المحب من تبذل له .
الناس يمدحونك ؛ لما يظنونه فيك ، فكن أنت ذاما لنفسك ؛ لما تعلمه منها .

المؤمن إذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه .

اجهل الناس من ترك يقين ما عنده ؛ لظن ما عند الناس .
إذا أطلق الثناء عليك ، ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله .

□□□□□□□□□□

٥

لا تفرحك الطاعة ؛ لأنها برزت منك ، وافرح بها ، لأنها برزت من الله إليك : "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون " .

قطع السائرين له ، والواصلين إليه ، عن رؤية أعمالهم ، وشهود أحوالهم . أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها .

إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمـنين ؛ لأن هـذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ؛ ولأنه أجَـلّ أقـدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها .

من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا .
من علامات إقامة الحق لك في الشيء إقامته إياك فيـه ، مـع حصول النتائج .
لا تيأس من قبول عمـل لم تجـد فيـه وجـود الحضـور ، فربمـا قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً .
وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العـاملين بوجـود الجـزاء عليها آجلاً .
إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك .
إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما يقيمك .
مـتى طلبت عوضـا على عمـل طـولبت بوجـود الصـدق فيـه ، ويكفي المريب وجدان السلامة .
كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك .
لا تطلب عوضا على عمل لست لـه فـاعلا . يكفي من الجـزاء لك على العمل أن كـان لـه قـابلا . لـولا جميـل سـتره لم يكن عمل أهلا للقبول .

جل ربنا أن يعامله العبد نقدا ، فيجازيه نسيئة .
متى رزقك الطاعة ، و الغنى بـه عنهـا فـاعلم أنـه : قـد أسـبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة .
مـتى جعلـك في الظـاهر ممتثلا لأمـره ، ورزقـك في البـاطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك .
كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا .
كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته .

ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع .

ما قل عمل برز من قلب زاهـد ، ولا كـثر عمـل بـرز من قلب راغب .
لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنـك شـهوده ، ويحتقـر عندك وجوده .
لما علم الحق منك وجود ملـل لـون لـك الطاعـات ، وعلم مـا فيـك من وجـود الشـره فحجرهـا عليـك في بعض الأوقـات ؛ ليكون همك إقامـة الصـلاة ، لا وجـود الصـلاة فمـا كـل مصـل مقيم .

□□□□□□□□□

٦

من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيـد إليـه بسلاسـل الامتحان .

من لم يشـكر النعم فقـد تعـرض لزوالهـا ومن شـكرها فقـد قيدها بعقالها .

خف من وجود إحسـانه إليـك ، ودوام إسـاءتك معـه أن يكـون ذلك استدراجا لك .

من جهـل المريـد أن يسـىء الأدب ؛ فتـؤخر العقوبـة عنـه ، فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد ، وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشـعر ، ولـو لم يكن إلا منـع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد .

أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع .
مـتى كنت إذا أعطيت بسـطك العطـاء ، وإذا منعت قبضـك المنع ، فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك ، وعدم صدقك في عبوديتك .

بسطك ؛ كيلا يبقيك مع القبض ، وقبضك ؛ كيلا يتركك مع البسط ، واخرجك عنهما ؛ كيلا تكون لشيء دونه .

العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل .

البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لا حظ للنفس فيه .
ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط "لا تدورن أيهم أقرب لكم نفعا" .

من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك .

ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك .

متى فتح باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء .

العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان .

متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك .

إنما يؤلمك المنع ؛ لعدم فهمك عن الله فيه .

□□□□□□□□

٧

فاقتك لك ذاتية ، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها ، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض .

خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، وترد فيه إلى وجود ذلتك .

العارف لا يزول اضطراره ، ولا يكون مع غير الله قراره .
ورود الفاقات أعياد المريدين .

ربما وجدت من المزيد من الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة .

الفاقات بُسُط المواهب .

إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك : "إنما الصدقات للفقراء " .

تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذُلّك يمدك بعزه ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته .
لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك .
لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ؛ ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج .
كن بأوصاف ربوبيته متعلقا ، وبأوصاف عبوديتك متحققا .
ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذل والافتقار .

لو أنك لا تصل إلا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك
إليه غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصلك إليه : بما منه إليك ، لا بما منك إليه .

ربما فتح لك باب الطاعة ، وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول .
معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة ، أورثت عزا و استكبارا . حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .
أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته .
أوجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك إلا دخول جنته .

ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا ، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا .

□□□□□□□

٨

من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء .
من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل .
ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة . ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه .
لا يلزم من ثبوت الخصوصية (الولاية) عدم وصف البشرية : إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق ، وليست منه : تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك ، فيردك إلى حدودك ، فالنهار ليس منك وإليك ، ولكنه وارد عليك . سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه . ستر أنوار السرائر بكثائف

الظواهر ، إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار ، وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار .
سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية .

□□□□□□□□□

٩

تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ؛ فحيث صار التنوير وصل التعبير .

كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز .

من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته .

ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار ، إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار .

"لينفق ذو سعة من سعتة" الواصلون إليه ، "ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله" السائرون إليه .

عباراتهم إما لفيضان وجد ، أو لقصد هداية مريد : فالأول : حال السالكين ، والثاني حال أرباب المكنة والمحققين .

ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل إليه ، وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة .

□□□□□□□□□

١٠

إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس ، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا .

من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالواجبات .

كما لا يحب العمل المشترك كذلك لايحب القلب المشترك : العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه .

ربما وردت عليك الأنوار فوجدت قلبك محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت .

فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار .
إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك ، من حصول الاستقامة مع ربك ؛ فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك .
من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجوده غفلته فقد استعجز القدرة .

□□□□□□□□□

١١

الحقائق ترد في حال التجلي مجملة ، وبعد الوعي يكون البيان : "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه" .
قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة ، لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد .
إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد ، وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه ؛ لأنك لم تر

عليه سيما العارفين ، ولابهجة المحبين ، فلولا ورد ماكان وارد
. قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم اختصهم بمحبته :
" كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطـاء ربـك ومـا كـان عطـاء ربـك محظورا " .
إنمـا أورد عليـك الـوارد ؛ لتكـون بـه عليـه واردا . أورد عليـك الوارد ، ليستلمك من يد الأغيار ، ويحررك من رق الآثار . أورد عليــك الــوارد ، ليخرجــك من ســجن وجــودك إلى فضــاء شهودك .

نــور يكشــف لــك بــه عن آثــاره ، ونــور يكشــف لــك بــه عن أوصافه .
أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ؛ لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ، ولم تأفل أنوار القلوب والســرائر ؛ ولذلك قيل : إن شمس النهار تغرب بالليـل وشـمس القلـوب ليست تغيب .

متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائـد عليـك : "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها " .

لا تــزكين واردا لا تعلم ثمرتــه ، فليس المــراد من الســحابة الإمطار ، وإنما المراد منها وجود الإثمار .

لا تطلبن بقـاء الـواردات بعـد أن بسـطت أنوارهـا ، وأودعت أسرارها ، فلك في الله غنى عن كل شيء ، وليس يغنيك عنه شيء .

تطلعت إلى بقــاء غــيره دليــل على عــدم وجــدانك لــه ، واستيحاشك لفقدان سواه دليل على عدم وصلتك به .
ربما وقفت القلـوب مـع الأنـوار كمـا حجبت النفـوس بكثـائف الأغيار .

□□□□□□□

١٢

ما قادك شيء مثل الوهم .

الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر إلى ظـاهر غرتها ، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها .
لو أشـرق لـك نـور اليقين لـرأيت الآخـرة أقـرب إليـك من أن ترحل إليها ، و لرأيت محاسن الدنيا قد ظهـرت كسـفة الفنـاء عليها .
العجب كـل العجب ممن يهـرب ، ممن لا انفكـاك لـه عنـه ، ويطلب ما لا بقاء له معه .
علم منك : أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه .
مـا تجـده القلـوب من الهمـوم والأحـزان فلأجـل مامنعتـه من وجود العيان .
النعيم وإن تنـوعت مظـاهره إنمـا هـو لشـهوده واقترابـه ، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابـه ، فسـبب العـذاب وجـود الحجـاب ، واتمـام النعيم بـالنظر إلى وجهـه الكريم .

رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آمـاده كثيرة أمداده .

من بورك لـه في عمـره أدرك في يسـير من الـزمن من منن اللـه تعـالى مـا لا يـدخل تحت دوائـر العبـارة ، ولا تلحقـه الإشارة .

الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ، ثم لا تتوجه إليه ، وتقل عوائقك ، ثم لا ترحل إليه .

الفكرة سراج القلب ، فإذا ذهبت فلا إضاءة له .

الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان ، وفكرة شهود وعيان : فالأولى لأرباب الاعتبار ،
والثانية لأرباب الشهود والاستبصار .
دل بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته ؛ إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ؛ فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا ، فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ؛ فربما التقيا في الطريق : هذا في ترقيه ، وهذا في تدليه .

□□□□□□□□□

١٣

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك ، ولاتبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها "إنما نحن فتنة فلا تكفر" .
لا ترحل من كون إلى كون ؛ فتكون كحمار الرحى، يسير ، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون .

أباح لك أن تنظر ما في المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات : "قل انظروا ماذا في السموات" ، فتح لك باب الإفهام ، ولم يقل : انظروا السموات ، لئلا يدلك على وجود الأجرام .

الأكوان ثابتة بإثباته ، وممحوة بأحدية ذاته .

الكون كله ظلمـة ، وإنمـا أنـاره ظهـور الحـق فيـه ، فمن رأى الكون ، ولم يشـهده فيـه ، أو عنـده ، أو قبلـه ، أو بعـده فقـد أعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شـموس المعـارف بسـحب الآثار .شتان بين من يستدل به ، أو يسـتدل عليـه : المسـتدِل بـه عـرف الحـق لأهلـه ؛ فـأثبت الأمـر مــن وجــود أصــله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ،
وإلا فمتى غاب ؛ حتى يستدل عليه ، ومتى بعـد ؛ حـتى تكـون الآثار هي التي توصل إليه ؟.

الكـائن في الكـون ، ولم تفتح لـه ميـادين الغيـوب مسـجون بمحيطاته ، ومحصور في هيكل ذاته .
أنت مـع الأكـوان مـالم تشـهد المكـون ، فـإذا شـهدته كـانت الأكوان معك .

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته ؟
أم كيف يرحل إلى الله ، وهو مكبل بشهواته ؟
أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟
أم كيــف يرجــو أن يفهم دقـائق الأسـرار ، وهــو لم يتب من هفواته ؟ .

لولا ميادين النفوس ما تحقـق سـير السـائرين ، إذا لا مسـافة بينك وبينه ؛ حتى تطويها رحلتك ، ولا قطيعة بينك وبينه ؛ حتى تمحوها وصلتك .

وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء ، أو يتصل هو بشيء .
قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجـود قربه ؟! .

إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك .

جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ؛ ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ، وأنك جوهرة ، تنطوي عليك أصداف مكوناته .

□□□□□□□□□

١٤

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟
كيف يصور أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟
يا عجبا ! كيف يظهر الوجود في العدم !؟
أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم !؟ .

لـولا ظهـوره في المكونـات مـا وقـع عليهـا وجـود إبصـار ، لوظهرت صفاته اضمحلت مكوناته .
أظهر كل شيء لأنه البـاطن ، طـوى وجـود كـل شـيء ؛ لأنـه الظاهر .
كيف يحتجب الحق بشيء ، والذي يحتجب به هو فيـه ظـاهر ، وموجود حاضر !؟ .
مما يدلك على وجود قهـره سـبحانه أن حجبـك عنـه بمـا ليس بموجود معه .
ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنـه تـوهم موجود معه .
كان الله ولاشيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .
إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك .
إنما احتجب لشدة ظهوره ، وخفى عن الأبصار لعظم نوره .
الحق ليس بمحجوب ، وإنما المحجـوب أنت عن النظـر إليـه ، إذ لو حجبه شيء لستره ماحجبـه ، ولـو كـان لـه سـاتر لكـان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر "وهـو القـاهر فوق عباده " .

غيب نظـر الخلـق إليـك بنظـر اللـه إليـك ، وغب عن إقبـالهم عليك بشهود إقباله عليك .

من عرف الحق شهده في كـل شـيء ، ومن فـنى بـه ، غـاب عن كل شيء ، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا .

ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته ، بل العارف من لا إشـارة لـه ؛ لفنائـه في وجـوده ، وانطوائـه في شهوده .

إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء ، لغيبتهم عن اللــه في كل شيء ، فلو شهدوه في كل شـيء لم يستوحشـوا من شيء .

لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت ، كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك .

ورود الإمداد بحسب الاستعداد ، وشـروق الأنـوار على حسـب صفاء الأسرار .

شعاع البصيرة يشـهدك قربـه منـك ، وعين البصـيرة تشـهدك عدمك ؛ لوجوده ، وحـق البـصيرة يشهدك وجوده ، لا عدمك ، ولا وجودك .

ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر .

من أشرقت بدايته أشرقت نهايته .

لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ؛ ربما كنت مسيئا ، فأراك الإحسان منك صحبتك من هـو أسـوأ حـالا منك .

□□□□□□□□□

١

الرحال تشد للزيارة في الله

وللحج

وللعمرة

والجهاد

وللتجارة

وللسياحة

أو لأي سبب مستحب واجب أو حتى مباح

لكن لا تشد من أجل الصلاة إلا للمساجد الثلاثة ربما للتخفيف ورفع الحرج أو لتبيين حقيقة عدم تفاوت أجور الصلاة في غير الثلاثة أو ربما للتأكيد على أهمية المساجد الثلاثة وضرورة الاهتمام بها وحمايتها .

النهي الخبري عن شد الرحال من أجل الصلاة إلا للثلاثة ليس قطعيا في كراهة أو حرمة حتى شد الرحال لغير الثلاثة من أجل الصلاة لكن جمعية أنصار سنة ابن عبد الوهاب حفظونا وغسلوا الدماغ بأن المقصود بالحديث النهي عن السفر لزيارة القبور والحقيقة أنه :

لم يرد نهي عن شد الرحال لزيارة القبور والحمد لله الأمة من أقصاها لأدناها تشد الرحال لزيارة الصالحين .

٢

تواصلك مع الصالحين تواصل مع الله ووصول إليه وتسبب إليه بهم

تواصلك مع آل البيت هو صلة رحم رسول الله وصلةً له صلى الله عليه وسلم

زيارة القبور للعظة ولصلة رحمك ولتذكر الصلاح والشهادة والاستمداد من أنوار وإمدادات وبركات الله التي أكرم بها أولياءه وآل بيت النبوة .

" قال الذين الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا " لنتذكر الصلاح واليوم الآخر ولنتبرك بهم ونتوسل بهم إلى الله سبحانه والتوسل بالأنبياء والصالحين والملائكة جائز كما في تحفة الذاكرين للشوكاني وليس شركا ، الشرك أن تتخذ الصالحين مسجدا أما أن تتخذ عليهم مسجدا فهذا ما جرى عليه العمل في الأمم السابقة وفي أمتنا ، فرق بين التوسل والتبرك وبين أن تعتقد في أحد تأثيرا ذاتيا من دون الله أو مع الله وهذا ماحذر منه النبي أن تتخذ الصالح مسجدا وتعتقد فيه تأثيرا ذاتيا فتتخذه ندا مع الله أو من دونه .

وقد تبرك الصحابة والأمة بآثار رسول الله وتوسلوا به حيا وميتا

والتوسل بالصالح هو توسل إلى الله بفضله وكرمه وحمده الذي جعله لهذا الصالح وجعل الصالح مظهرا له والله يحب حمده الذاتي وحمده التنجيزي الذي هو مظهر حمده .

ومعنى قول النبي لا تجعلوا قبري عيدا معناه زوروا القبور ليس بطريقة العيد الذي يأتي مرة في العام ولكن أكثروا الزيارة لتذكركم بالآخرة وبالصلاح والصالحين ملتمسين بركتهم وأنوارهم؛ فلزيارة القبور للعظة والتبرك والتوسل آثار إيمانية وتربوية عظيمة حرمنا منها أهل الغلو .

وأما ما ورد عن النبي إنه لا يستغاث بي فمعناه لا يستغاث بي من دون الله ولا معه لأنه ليس لي فعل ذاتي ولا تأثير ذاتي ولكن يستغاث بي توسلا وتسببا وقول أحدهم مدد فمعناه التوسل والتشفع إلى الله وذلك أخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب من نظام التوحيد والأولى القول مدد يا الله بوسيلة رسولك لتذكر أن الفاعلية والتأثير لله ، والتوسل والتشفع إلى الله بالحي مثل الميت لأن كلاهما ليس له فعل ذاتي لأن التوسل يكون بفضل الله وحمده وكرمه ومدده الذي جعله للصالحين أحياء أو أمواتا ، وحكم التوسل بالورثة والنواب والآل والأصحاب كحكم التوسل بالنبي .

حقيقة الكمال هو الله ومظهر الكمال هو أحباؤه

فتتوسل إلى الله بكماله الذاتي وكماله المظهري والله سبحانه يحب أن تعرفه في الحقيقة والمظهر

وهو أنك تتوسل وتتبرك إلى الله بمظهر كماله وهم كمل وأكابر خلقه

وبيننا وبين الله بابان

النفس باب

والصالحون (أنبياء وأولياء وعلماء) باب

ولا يغني أحدهما عن الآخر

كما لا ينفع إيمان بالتوحيد بدون الإيمان بالرسالة

كما لا يغني الكتاب إلا بالسنة

فبغير باب النفس لا يكون شيء

فالعدم لا يصل إلى الله

وبغير الواسطة : النبوة ووراث النبوة فلا وصول أصلا

ومن ادعى الاستغناء عن الواسطة فهو عبد هواه ومن لا كبير له .

بينك وبين الله بابان لا يغني أحدهما عن الآخر : باب مباشر وهو نفسك وباب غير مباشر وهذا الأخير هو الواسطة أو الشفاعة وهي رسول الله فلا يقبل توحيدك إلا بالإيمان برسول الله ولا ينفع دعاؤك إلا بواسطة الصلاة والسلام عليه ولا تدخل الجنة إلا بشفاعته وخلفه ولا تمر على الصراط ولا يفصل الله سبحانه القضاء يوم القيامة إلا بشفاعته - وهذه الشفاعات الثلاث تسمى المقام المحمود - ولا ينفعك القرآن بغير سنته .. ثم إنه بينك وبين رسول الله وسطاء آخرون : صحابة وآل بيت وعلماء وأولياء ومجاهدون وشهداء . فمن رفض الوساطة فهو المتكبر حقا لكن في صورة مدعٍ للتوحيد ومدع للاتباع وفي الحقيقة هو متبع للهوى " يوم ندعً كل أناس بإمامهم " فإمامه هواه .

الواسطة هي محطة التقوية .

ولذلك فإن أفضل مرآة تشاهد فيها ربك هي مرآة خير الخلق لأن مرآتك قاصرة وضعيفة .

ونحن لا نعتقد في الواسطة ولا ندعي لها ألوهية وليس لأحد شفاعة جبرية على الله بل يقبل الله بعض الشفاعات ويرد بعضها (فالشفاعة يظهر الله بها فضل الشافع) وتشفّع العبد بعمله الصالح أو بعبد صالح لا تعني استجابة الدعاء بحصول أو دفع ما يريده العبد بعينه دائما لكن بأي صورة للاستجابة (إما ثواب أو دفع بلاء أو رفع مؤونة يتسبب وجودها في

ضغوط وحسرة أو رزق قناعة تعوض الفقدان أو عـدم شـعور بالمؤلم فيصير البلاء كأن لم يكن أو غير ذلك) .

فهذا هو الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد

والتوسل بالصالحين سبب للاستجابة لكن حقيقته التقـرب من الله بالقرب من أحبائه والاقتداء بهم وشحن القلب بالأنوار .

نـزور القبـور الزيـارة الشـرعية لتـذكر الآخـرة وتـذكر الصـلاح والصـالحين ولزيـادة الإيمـان والتقـرب إلى اللـه بـالقرب من أوليائه

فمن زار أخا له في الله حيا أو ميتا فقد زار الله

وفي الأثر :

يا ابن آدم مرضت ولم تزرني ..

واستطعمتك فلم تطعمني ..

إلى آخر الأثر

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة

قبور الصالحين روضة

ولذلك ندعوا عند رياض الجنة وإن كان نفس الزيـارة في حـد ذاتها تبرك وتوسل .

وقـد تـزور القـبر من البعـد أو القـرب ومثـال ذلـك : الحجـر الأسود أن تستلمه وتقبله أو تشير إليه من مسافتك المتاحة .

لا تلتفت لمن قطعــوك عن التواصـــل مـــع الـــدار الآخـــرة والصالحين والشهداء وسموك قبوريا مشركا مبتدعا .

عند زيارة قبور العلماء والصالحين والشهداء والتي هي ريـاض من رياض الجنة :

التحيات لله والحمد لله

والصلاة والسلام على سـيدي رسـول اللـه خـير مـرآة نشـاهد فيها الله وعلى آله وحزبه وأتباعه ومن نشاهد رسول الله في مرايـاهم وأصـحاب الحقـوق والفضـل والمنن علينـا ومن نحن بحضرتهم ومن تتعلق بهم خواطرنا وعلينا معهم

اللهم ارفع درجاتهم واجزهم خيرا بما هم أهله

اللهم انفعهم بنــا وانفعنــا بهم كــل بمــا يليــق بــه وأذن لهم بالشفاعة والنصرة

مــدد يـا اللــه من مــدد رسـولك ومن مــدد سـورتي الضـحى والشرح ومن مدد من نحن بحضـرتهم اللهم إنـا نتوسـل إليـك بمددك الذي أمددت لما قد علمت فاقض وادفع واكفل ما قــد علمت مما قد أتيت بنا له

اللهم اغفر الذنوب واستر العيوب واقض الحوائج واكفل الأمر كله وأصلح أمة رسولك وانصرها اللهم إنا نسألك متوسلين ومتبركين بحقيقة وأثر كمالك لما قد علمت اللهم إنك تحب أن نأتي البيوت من أبوابها وقد أتيت بنا إليك من باب من أبوابك فنسألك القبول والوصول إلى غاية المأمول فلا تردنا خائبين .

٣

جواز التوسل في القرآن والسنة بالنبي الكريم والصالحين

ما هو التوسل ؟

التوسل هو طَلَبُ حصولِ منفعة أو اندفاعِ مضرة من الله بِذِكرِ اسم نبيّ أو ولي إكراما للمتوسل به.

جانب كبير من علماء أهل السنة والجماعة ومن بينهم علماء الصوفية يعتقدون أن التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته هو أمر متفق عليه بين المسلمين

طيلة فترة السلف ولم يكن محل نقاش ،واستمر جمهور العلماء يجمعون على جواز التوسل بالنبي والرجال الصالحين إلى أن أعيد النقاش قبل حوالي مائتي عام. ويرى هذا الجانب من علماء أهل السنة والجماعة أن ابن تيمية هو أول من ابتدع القول بحرمة التوسل.

أدلة جواز التوسل من القرآن

- قال الله تعالى:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (33-الأنفال) وهذه الآية فيها الدلالة على أن ذات النبي كانت سببا في رحمة الكفار ورفع عنهم العذاب ولم يقل الله تعالى: ودعائك فيهم .. بل قال وأنت فيهم .. ولا ينقص قدر النبي بعد وفاته وهذا ما أتفق عليه اهل السنة والجماعة والفقهاء الاربعة..

- قال الله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (89) البقرة..

حكى القرطبي وغيره عن ابن عباس ، رضي الله عنهمــا : أن يهود خيـبر اقتتلـوا في زمـان الجاهليـة مـع غطفـان فهـزمتهم غطفان ، فدعا اليهود عند ذلك ، فقالوا : اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا بإخراجه في آخر الزمان ، إلا نصــرتنا عليهم . قال : فنصـروا عليهم . قـال : وكـذلك كـانوا يصـنعون يدعون الله فينصـرون على أعـدائهم ومن نـازلهم . قـال اللـه تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا) أي من الحـق وصـفة محمـد صلى الله عليه وسلم " كَفَرُوا بِهِ " فلعنة الله على الكافرين.. تفسير ابن كثير..

- قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَابْتَغُـوا إِلَيْـهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ".

- قـال اللــه تعـالى :" وَلَـوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ جَـاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ".

- قـال اللـه تعـالى: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَـذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا".

- قول يعقـوب لأبنائـه:"قَـالَ سَـوْفَ أَسْـتَغْفر لَكمْ رَبّي إنَّه هـوَ الْغَفور الرَّحيم".

٤

أدلة جواز التوسل من السنة

عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني فإن لله عباداً لا نراهم". وقد جرب ذلك. رواه الطبراني.

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله". رواه البزار

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن لله حاصراً في الأرض سيحبسه".

روى أبو يعلى والطبراني،عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينامحمد - صلى الله عليه وسلم - نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، ورح إلي حين أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال : حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ما

كانت لك من حاجة فائتنا ، ثم إن الرجل خرج من عنـده فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيرا ما كـان ينظـر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسلم - وأتاه رجل ضرير فشـكا إليـه ذهـاب بصـره فقـال لـه النبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - : " أو تصـبر ؟ " فقـال : يـا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي ، فقال له النـبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - : " ائت الميضـأة فتوضـأ ثم صـل ركعـتين ثم ادع بهـذه الكلمـات " فقـال عثمـان بن حـنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضـرر قـط . رواه الترمـذي وابن ماجـه . وفي هـذا الحديث دليل على جواز التوسل بـالنبي وغـيره من الصـالحين في حيـاتهم أو بعـد مـوتهم , فبطـل قـول من قـال لا يجـوز التوسل إلا بالحيّ الحاضر.

جواز التوسل بالصالحين

وأما التوسل بالصـالحين فمنـه مـا ثبت في الصـحيح عن أنس رضـي اللـه عنـه , أن عمـر بن الخطـاب كـان إذا قحطـوا استسـقى بالعبـاس بن عبـد المطلب , فقـال: اللهم إنـا كنـا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا , وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون.

عن عطـاء عن زيـد بن أسـلم عن ابن عمـر قـال : استسـقى عمـر بن الخطـاب عـام الرمـادة بالعبـاس بن عبـد المطلب " فذكر الحديث وفيه " فخطب النـاس عمـر فقـال : إن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يرى للعباس ما يـرى الولـد للوالد ، فاقتـدوا أيهـا النـاس برسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسلم - في عمه العباس واتخـذوه وسـيلة إلى اللـه " وفيـه " فما برحوا حتى سقاهم الله " .

٥

أقوال العلماء بجواز التوسل

- ذكر السيوطي في (الدر) قال: أخرج الطبراني في (المعجم الصـغير) والحـاكم وأبـو نعيم والـبيهقي كلاهمـا في (الـدلائل) وابن عساكر: عن عمـر بن الخطـاب -رضـي اللـه عنـه- قـال: قـال رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم-: " لمـا أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسـألك بحـق محمد إلا غفرت لي ".

- وحديث ابن عباس الـذي حسـنه الحافـظ كـان الإمـام أحمـد يقويه , لأنه قد عمل به , فقال ابنـه عبـد اللـه في " المسـائل " : " سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج منها ثنتين راكبـا و ثلاثة ماشيا , أو ثنتين ماشيا و ثلاثة راكبا , فضـللت الطريـق في حجة و كنت ماشـيا, فجعلت أقـول :" يـا عبـاد اللـه دلونـا على الطريق"فلم أزل أقـول ذلـك حـتى وقعت على الطريـق ".رواه البيهقي في الشعب وابن عساكر من طريق عبد اللـه بسند صحيح.

- قال ابن سعد عن مالك عن صفوان بن سليم: كان ثقة كثير الحديث عابدا وذكر عند أحمد فقال : "هذا رجل يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره" . موطأ مالك باب الطهور للوضوء .

رأي القرطبي في قوله تعالى "لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون "قال ابن خويز منداد :بأن ايمان المسلمين جرت منذ عهد النبيء(ص)إلى يومنا هذا أن يحلفوا بالنبيء (ص)حتى أن أهل المدينة إلى يومنا هذاإذا حاكم أحدهم صاحبه .قال احلف لي بحق ما حواه هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني الرسول وكذلك بحق الحرم والمشاعر العظام والركن والمقام" .

رأي أحمد زروق الفاسي في كتاب قواعد التصوف:إن كرامة المتبع شاهد بصدق المتبَع فله نسبة من حرمته لثبوت الإرث له فمن ثَمّ جاز التبرك بآثار أهل الخير فمن ظهرت كرامته بديانة أو علم أو عمل...ولم يزل اهل الملة يتبركون بأهل الفضل من كل عصر وقطر فلزم الإهتداء بهم حسبما يهدي إليهم النظر .

وقال العدوي الحمزاوي في كتابه –كنز المطالب ص 235 في التوسل بشهداء أحد ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ آماله لأن هذا المكان محل مهبط الرحمات وقد قال خير البرية عليه الصلاة وأزكى التحيات"إن لربكم في دهركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحات ربكم "ولاشك ولاريب أن هذا المكان محل

هبـوط الرحمـات الإلهيـة فينبغي للزائـر أن يتعـرض لهاتيـك النفحات الإحسانية .كيف لا وهم الأحبة والوسيلة العظمى إلى الله ورسوله فجدير لمن توسل بهم أن يبلغ المـنى وينـال بهم الدرجات العلى ,فإنهم الكرام لايخيب قاصدهم وهم أحيـاء ولا يرد من غيرأكرام زائرهم."

قال الإمام أبو جمرة:حين ذكر زيارة الأوليـاء..ثم التوسـل إلى الله تعالى بهم في قضاء مـآ ربهم ومغفـرة ذنـوبهم وقـال في شرحه للبخـاري (قـال من لقيت من العـارفين عمن لقيـه من السادة المقر لهم بالفضل :.أن صـحيح البخـاري-مـا قـرئ في شـــدة إلا فُـــرجت ولا رُكب في مـــركب إلا نجت-وغـــيره من الأعلام في المذهب المالكي كالباجي في المنتقى وابن الحاج المحارب للبدع والدردير والصاوي وغيرهم كثير .

٦

منقول منهاج الطالبين

*جواز التوسل

بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين بعد الموت

عند علماء المذاهب الأربعة *

أما الحنفية مثلهم مثل غيرهم يجيزون التوسل بالصلحاء .قـال أحمد سـنهارنبوري في كتابـه المهنـد على المقيـد ص 86 في إجابته عن سؤال :هل للرجل أن يتوسـل في دعوتـه بـالنبيئين والصالحين والصديقين والشهداء والأولياء؟ قـال"عنـدنا وعنـد

مشائخنا يجوز التوسل بهم في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول :اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي ..

نصوص أئمّة الحنفيّة وتوسُّلاتِهم

1- الإمام العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1 / 11) يقول:

((فها نحن نشرع في المقصود بعون الملك المعبود ونسأله الإعانة على الاختتام متوسلا بالنبي خير الأنام وآله وصحبه الكرام .))

وقال الإمام بدر الدين العيني في شرح صحيح البخاريً:

وقال بدرالدين العيني على شرح البخاري"يجوز التبرك بمصلى الصالحين ومساجد الفاضلين ...ج 4 ص170

2- الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي رضى الله عنه فتح القدير، ج 2 ، ص332، كتاب الحج، باب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم:

((ويسأل الله حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه ثم قال يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله أتوسل بك إلى الله .))

3- أبو العباس أحمد الزبيدي الحنفي :

“بجاه سيدنا محمد وآله”

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ص 9.

4- وزاد الشيخ علي القاري المكي الحنفي في شرح الشمائل :

"فليس لنا شفيع غيرك نؤمله، ولا رجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربك يا شفيع المذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصالحين".

5- قال نور الدين ملا علي القاري في شرح المشكاة ما نصه:

قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين بن الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح : إني زرت قبره بنيسابور (يعني مسلم بن الحجاج القشيري) وقرأت بعض صحيح على سبيل التيمن و التبرك عند قبره ورأيت ءاثار البركة ورجاء الإجابة في تربته .ا.هـ

6- الجبرتي الحنفي :

"ويتوسل إليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم"

عجائب الآثار (1 / 344) .

7- خاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين الحنفي قال في مقدمة حاشيته على الدر المختار داعياً : " وإني أسأله تعالى متوسلاً إليه بنبيه المكرم صلى الله عليه وسلم ".

ويقول (4 / 294) : دام في عز وإنعام، ومجد واحترام، بجاه من هو للانبياء ختام، وآله وصحبه السادة الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام، في البدء والختام.

8- العلامـة الفقيـه عبـد الغـني الغـنيمي الحنفي (ت : 1298 هـ)صاحب " اللباب في شرح الكتاب"، قال في خاتمـة كتابـه "شرح العقيدة الطحاوية" داعياً :

"وصلِّ وسلم على سـيدنا محمـد فإنـه أقـرب من يُتَوسـل بـه إليك" .

9- في كتاب الفتاوى الهندية (ج 1 / 266) وقد قام بتأليفه جماعة من علمـاء الهنـد برئاسـة الشـيخ نظـام الـدين البلخي بأمر من سلطان الهند أبي المظفر محيى الدين محمد أورنـك زيب في كتاب المناسك* *:

((باب : خاتمة في زيارة قبر النـبي صـلى اللّـه عليـه وسـلم، بعد أن ذكر كيفية وآداب زيارة قبر الرسـول صـلى اللّـه عليـه وسلم، ذكر الأدعية الـتي يقولهـا الزائـر فقـال: "ثم يقـف (أي الزائر) عند رأسه صلى اللّه عليه وسلم كالأوّل ويقـول : اللهم إنــك قلت وقولــك الحــق : " وَلَــوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُــوا أَنفُسَــهُمْ جَــاءُوكَ .. " الآيــة، وقــد جئنــاك ســامعين قولــك طــائعين أمرك،مستشفعين بنبيك إليك " .)) .

٧

نصوص أئمّة المالكية وتوسُّلاتِهم

1 – الإمام مالك بن انس رضي الله عنه

قصه الخليفة المنصور مع الإمام مالك رضي الله عنه وهى

(أن مالكـا رضـي اللـه عنـه لمـا سـأله أبـو جعفـر المنصـور العباسي – ثاني خلفاء بن العباس- يـا أبـا عبـد اللـه: أأسـتقبل رسول الله صلى الله عليـه سـلم أم اسـتقبل القبلـة وأدعـو؟

فقـال الإمـام مالـك: ولم تصـرف وجهـك عنـه وهـو وسـيلتك ووسيلة أبيك أدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامـة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفع فيك)

وهذه القصة صحيحة لا غبار عليها وان الإمام مالك يري الخـير في اسـتقبال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في الـدعاء والاستشفاع به وأنه هو الوسيلة صلى الله عليه وسلم.

كما أن القصة تشير إلى حديث توسل سيدنا آدم عليه السـلام بسيدنا محمد.

وقد أخـرج هـذه القصـة رواهـا أبـو الحسـن على بن فهـر في كتابه فضائل مالك

ورواها القاضي عياض في الشفا 2 ـ 41 بسنده الصحيح عن شيوخ عده من ثقات مشايخه

وذكرها القسطلاني في المواهب 4 : 580

وقال الزرقاني شارح المواهب في شرحه (8 :ـ 304) بعـد ذكر من أنكرها فقال (وهذا تهـور عجيب فـإن الحكايـة رواهـا أبو الحسن على بن فهر في كتابه فضائل مالك بإسناد حسـن, وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقـه عن عـده من ثقات مشائخه, فمن أين أنها كذب؟ وليس في سـنادها وضـاع ولا كذاب)

ونقلها السمهودي في وفـاء الوفـا ج 2 ص 422 عن القاضـي عياض

وقال ابن حجر في الجوهر المنظم قد روي هذا بسند صحيح

المدخل 1 / 248 ، 252

والفواكه الدواني 2 / 466

وشرح أبي الحسن على رسالة القيرواني 2 / 478،

والقوانين الفقهية 148.

2 – القاضي عياض

في كتابه الشهير الشفا في عدة مواضع.

3 – عبد الحق الإشبيلي في كتاب العاقبة في ذكر المـوت ص 219 يقول :

ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم وتسكنه في جوارهم تبركا بهم وتوسلا إلى الله تعالى بقربهم.

4 – أبو عبد الله القضاعي المالكي المعروف بابن الأبار " توسلوا به إلى الله " التكملة لكتاب الصلة (2 / 281).

5 – القرافي المالكي :

ذكر قصة العتيبي المشهورة وأقرها في الذخيرة (3 / 375 – 376).

6 – المقري التلمساني المالكي :

" اللهم يسر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر والأسود والأعاجم والأعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله

وأصحابه الأعلام" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1 / 32).

7 – ميارة المالكي يقول :

"نتوسـل إليـك بجـاه أحب الخلـق" في كتـاب الـدر الثمين والمورد المعين (2 / 302).

8 – الخرشي في شرح مختصر خليل ص 243 :

نَتَوَسَّـلُ إلَيْـك بِجَـاهِ الْحَبِيبِ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَقَاصِـدَ عَنْ قَـرِيبٍ فَإِنَّك قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

9 – قال الإمام الزرقاني في شرح المواهب :

(ونحو هذا في منسك العلامة خليل، وزاد : وليتوسل به صلى الله عليه وسلم ، ويسال اللّه تعالى بجاهه في التوسل بـه، اذ هـو محـط جبـال الاوزار واثقـال الـذنوب، لان بركـة شـفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس اللّه بصيرته، اضل سـريرته، الم يسـمع قوله تعالى : (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جـاؤوك فاسـتغفروا اللّه) الاية) شرح المواهب (8 / 317)

وقـال ابن الحـاج المـالكي في كتابـه "المـدخل" مـا نصه:"فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حـط أحمـال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب ، إذ إنها أعظم من الجميع ، فليستبشـر من زاره ويلجـأ الى اللـه تعـالى بشـفاعة نبيه عليه الصـلاة والسـلام مَنْ لم يـزره ، اللهم لا تحرمنـا من

شفاعته بحرمته عندك،ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم ، ألم يسمع قول الله عز وجل :" وَلَو أَنَهُم إذ ظلموا أَنفُسَهُم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهُمُ الرسولُ لَوَجَدوا الله تواباً رحيما "سورة النساء . فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيما ، لأن الله عز وجل منزه عن خُلْف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه ، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، نعوذ بالله من الحرمان".

وهناك الكثير جدا من علماء المذهب المالكي ذكر ما يدل على جواز التوسل بالنبي بعد موته لكن نقتصر على هذا حتى لا يطول الكلام

٨

حكمُ التوسُّلِ بالنبي والصَّالحيْن عند الحنابلة

أما الحنابلة فقد أجمع علماؤهم على جواز التوسل بالصالحين قال المرداوي في الإنصاف ج 2 ص 456 يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب .

1 – الإمام احمد بن حنبل وتوسله بالنبي صلى الله عليه وسلم

قال في منسكه الذي رواه عنه المروزي ما نصه:

(وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه (صلى الله عليه وسلم) تُقْضَ من الله عز وجل)

, وذكر معناه برهان الدين بن مفلح في المبدع (2 / 204) وقريب منه ما في الإقناع للعلامة الحجاوي (1 / 208) والفروع لشمس الدين ابن مفلح (ت : 763 هـ) (2 / 159) وغيرهم.

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ما نصه:

(سألته عن الرجل يمس منبر النبي (صلّى الله عليه و سلّم) و يتبرك بمسّه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد التقرب إلى الله جل وعز فقال: لا بأس بذلك .

العلل لأحمد بن حنبل (2 / 492) .

2 – البهوتى الحنبلي ت (1051 هـ) :

ذكر قصة العتبى وأقرها – كشف القناع (2 / 516)

وفي كتاب كشاف القناع الجزء الثاني :

وقال السامري وصاحب التلخيص : لا بأس بالتوسل للاستقاء بالشيوخ والعلماء المتقين . وقال في المذهب : يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل للمروذي : إنه يتوسل بالنبي في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره ، ثم قال : قال إبراهيم الحربي : الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب .

3 – الإمام ابن الجوزي الحنبلي

(كتاب مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص 297)

عن عبد الله بن موسى أنه قال :

خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور « أحمد » فاشتدت الظلمة ، فقال أبي : يا بني تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضاء لنا الطريق ، فمنذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلا قضيت حاجتي .فدعا أبي وأمنت على دعائه ، فأضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه) اهـ

4 – قال الإمَامُ المرْدَاوي في " الإنْصاف " (2 / 456)

(يَجُوز التوسُّل بالرجل الصالح ، على الصحيح من المَذْهَب . وقيل يُسْتَحب قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ)

5 – ابن عقيل الحنبلي المتوفى 503 :

وكان يقول فى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم " يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى " – (التذكرة 87) .

وهناك الكثير جدا من علماء المذهب الحنبلي ذكر ما يدل على جواز التوسل بالنبي بعد موته لكن نقتصر على هذا حتى لا يطول الكلام .

٩

نصوص أئمّة الشافعية وتوسُّلاتِهم

رأي النـــووي الشـــافعي المـــذهب في كتـــاب الأذكـــار –بـــاب الإذكارفي الإستسقاءص160

"أنه يستحب إذا فيهم رجل مشهور بالصـلاح أن يستسـقوا بـه فيقولون "اللهم إنا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك فلان كمـا روى البخاري وأن عمر رضي الله عنه استسقى بعباس رضي الله عنه وقـال: جـاء بأهـل الخـير والصـلاح اللهم كنـا نتوسـل بنبينا'ص)فيسقينا الله وإنا نتوسل إليك بعم نبينـا فاسـقنا قـال فسقوا ",البخاري .

1- عن علي بن ميمون قال : سمعت الشافعي يقول :

إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجئ إلى قبره في كل يـوم ــ زائـرا ـ فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد حتى تقضى

رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في التـاريخ ج 1 ، ص 123

العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان، ص69

ذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ج 2 ص 199

والكردري في مناقبه 2 ص 112 ،

وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة 2 ص 82

وذكر الفقيه ابن حجر الهيتمي ان لمّـا بلـغ الشـافعي أنّ أهـل المغرب يتوسَّلون بمالك لم ينكر عليهم

2 – الماوردي 364 هـ :450 هــ :

ذكـر قصـة العتـبي وأقــرها كمـا أقرهـا أبـو الطيب المجمـوع شرح المهذب (8 / 256) .

3 – الإمام أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي 384 هـ.

الحافظ البيهقي : روى عنه ابن الجـوزي في المنتظم (11 / 211) من مناقب أحمد بن حرب " استجابة الدعاء إذا توسل الداعي بقبره " .

4 – الحافظ ابن عساكر الشافعي (ت : 571 هـ) :

كتب في أربعينياته " يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي " .

5 – قال الإمـام النـووي في المجمـوع (ج 8 /ـ 274) كتـاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول صلى اللّه عليه وســلم : " ثم يرجع إلى موقفه الأول قُبالة وجـه رسـول اللّـه صـلى اللّـه عليه وسلّم ويتوسل به في حق نفسه ويستشـفع بـه إلى ربـه ".

6 – ابن خلكان الشافعي (ت : 681 هـ) :

"بمحمد النبي وصحبه وذويه " وفيات الأعيان (6/13)

7 – المحب الطبري الشافعي :

"بمحمد وآله وصحبه" ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (1 / 26).

8 – يقـول تقي الـدين السـبكي في كتابـه المعـروف "شـفاء السقام"في الفصل الثامن منه يقول: "اعلم أنه يجوز ويحسن

التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق اليه في سائر الأعصار،... وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثلة". ... " اهـ.

(ينبغي الاستفادة من ابن تيمية وابن حزم بغير افتتان متجنبين الشذوذ والخطأ والمخالفة لجمهرة الأمة وادعاء الإجماع ثم إن اتباع أئمة الدين وأهل الاجتهاد المطلق أولى من اتباعهما . وأهل العلم يستفيدون منهما دون غيرهم من القاصرين حيث يشعر القاصر حين يطالع آراءهم أن الحق حكر عليهم وهذا شديد الخطورة على وحدة الأمة) .

9 – العالم العلامة الفيومي الشافعي (ت :770 هـ) قال في خاتمة كتابه " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" في اللغة داعياً : " ونسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة وأن ينفع به طالبه والناظر فيه وأن يعاملنا بما هو أهله بمحمد وآله الأطهار وأصحابه الأبرار " .

10 – الإمام الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي

قال الإمام تقي الدين الحصني : (والمراد أن الاستغاثة بالنبي واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير على اختلاف الحاجات، وقد عقد الأئمة لذلك باباً، وقالوا : إن استغاثة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى) .دفع شبه من شبه وتمرد ص 89 .)

دعـاء غـير اللـه أو الاسـتغاثة والاسـتعانة بـه بوصـف الألوهيـة معتقدا أن ذلك الغير له فاعلية وتأثير مع الله أو من دونه فهـو الشرك أما إذا كان بوصف السببية فهذا من نظام التوحيد .

11- الإمام الحافظ ابن الجزري الشافعي

قال في كتابة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : .

((ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين)) .

١٠

الإيمان بالله تعالى لا يتجزأ، والتوحيد أمر لا يقبل القسمة، ولو كان التقسيم عند القوم عبارة عن تقسيم لموضوعاته وتسهيل لها لما اختلفنا معهم، كما نقول نحن: إلهيات، ونبوات، وسمعيات، فلا مشاحة في الاصطلاح.

ولكنهم يقسمون التوحيد إلى: ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات، ويرتبون على ذلك الحكم بالشرك والتبديع للأمة المحمدية، ويزعم ابن تيمية من خلال هذا التقسيم البدعي أن الصوفية عندهم طعن في توحيد الألوهية لأنهم يتوسلون ويتبركون بالأنبياء والصالحين، وأن الأشاعرة لم يوحدوا توحيد الأسماء والصفات لأنهم يفوضون ويؤولون، فرتب على تقسيمه البدعي هذا: اتهام المسلمين وتبديعهم، وصار أتباعه من بعده يسيرون نفس سيره فخاضوا في الأمة المحمدية وعلمائها.

حتى إنه ليقرر مرارًا أن المشركين كانوا يوحدون توحيد الربوبية، وأن القرآن الكريم أثبت لهم ذلك في نصوص كثيرة نحو قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: 25]، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: 9].

ونظائر هذه الآيات كثيرة جدًّا، وهذه قد فهم منها ابن تيمية إثبات توحيد الربوبية للمشركين، وبناءً على تقسيمه هذا قال في (مجموع الفتاوى 14/380): "أَمَّا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: فَقَدْ أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ وَيُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَهُ".

وقال في (مجموع الفتاوى 1/23): "فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق، وقرره أهل الكلام؛ فلا يكفي وحده".

حتى صرح كثير من أتباعه أن مشركي زماننا أشد جهلًا وإشراكًا من مشركي أهل الجاهلية، وهذه عبارات موجودة بكثرة في كتب القوم.

وهذا التقسيم الذي قسَّمه ابن تيمية، وهذا الفهم الذي فهمه من إثبات التوحيد في الربوبية للمشركين والخلق وتبعه عليه الوهابية كافة ـ هو خطأ كبير وافتئات على العلم، ومخالف للمستقر الذي درج عليه المسلمون، وذلك من وجوه:

1 ـ لا تدل إجابة المشركين عندما سُئلوا مَنْ خلق السماوات والأرض؟ فقالوا: الله، لا تدل تلك الإجابة على توحيدهم، لأن أهل السنة كافة يقولون: الإيمان معناه التصديق القلبي، وأن التلفظ باللسان ليس وحده دليلًا على الإيمان بإجماع السلف، وقد أقر المنافقون بالتوحيد ظاهرًا لكن لم يُقبل منهم ذلك لأن قلوبهم لم تنعقد على ما ظهر منهم، قال تعالى: {إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ} [المنافقون: 1].

فقول المشركين: الله هو الخالق والرازق ونحو ذلك، لا يدل على الاعتقاد الصحيح؛ بل يدل على المعرفة، كما لو سألت أبا جهل وأمثاله عن نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأجابوا: نعم، نعلم صدق نبوته، وأهل الكتاب من قبل كانوا يعرفون ويقرون بها لا من جهة الإيمان بنبوته، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ} [البقرة: 146].

حتى قال الإمام القاسم بن سلام المتوفى 224هـ في كتابه (الإيمان 30): "فَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ مَعْرِفَتَهُمْ بِهِ إِذْ تَرَكُوا الشَّهَادَةَ لَهُ بألسنتهم إيمانًا".

فليس معنى إجابتهم بأن محمدًا رسول الله أنهم مؤمنون، وليس معنى قول المشركين الله هو الخالق والرازق أنهم مؤمنون بالربوبية، بل هم يعرفون أنه الخالق كما يوقنون بنبوة محمد، وهم لا يكذبونه ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، وكذا لو سألت المشركين: من خالقكم وخالق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، لكن هل آمنوا واعتقدوا ذلك بقلوبهم مصدقين بذلك؟ الجواب: لا وألف لا.

2 ـــ لم يفرق القرآن الكريم في إطلاقاته بين الربوبية والألوهية، بل جعلهما شيئًا واحدًا لا ينفصل أحدهما عن الآخر من حيث الإيمان، فقد جاء في القرآن كثيرًا اقتران الاثنين على موصوف واحد، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ}، وقال تعالى: {وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ}، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ}، وقال تعالى: {لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}.

فمن خلال هذه الآيات يتبين أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بأن يؤمنوا بالألوهية والربوبية معًا؛ لأن شركهما واقع في المعنيين، ولذا قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري المتوفى 310هـ في (جامع البيان 15/19): "فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية، بالذلة منكم له، دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة".

3 ـ أثبت الله تعالى عدم إيمانهم بالربوبية، ولا ندري كيف يثبت ابن تيمية وأتباعه لهم الإيمان بتوحيد الربوبية، وقد خاطبهم الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة يدعوهم إلى الإيمان بها، قال تعالى: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} [الغاشية: 17: 23].

فهـذه الآيـات ونظائرهـا عشـرات في القـرآن الكـريم تلفت أنظارنا أن الله تعالى خاطب المشركين بعظيم قدرته وخلقـه ليكون سببًا للإيمان بـه والتوحيـد لـه، ولـو كـانوا يؤمنـون بأنـه خالق ورازق لما خاطبهم بذلك.

ألم يقرأ ابن تيمية وإتباعه قول اللـه تعـالى عن قـول فرعـون لقومه: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: 24].

فهل فرعون كان يقر للـه بالربوبيـة وفي الـوقت ذاتـه يـدعيها لنفسه؟!

ألم يسمعوا مرة قول الله تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّـجْنِ أَأَرْبَـابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}.

فكيف يقرون بالربوبية مع أن فرعون يدعيها لنفسه، والنمروذ يقول لسيدنا إبراهيم: {قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} [البقرة: 258].

فأين توحيد الربوبية عند المشركين؟!

ألم يقرأوا قول الله تعـالى عن أهـل الكتـاب: {وَلَا نُشْـرِكَ بِـهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضًـا أَرْبَابًـا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [آل عمـران: 64].

ألم يقرأوا قوله تعالى عنهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًـا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} [التوبة: 31].

ونظـائر هـذا في القـرآن الكـريم كثـير يُظهـر أن المشـركين واليهود والنصارى كانوا يشركون في الربوبيـة والألوهيـة معًـا، وأنه لا يصـح القـول بـأنهم موحـدون لأن التوحيـد لا يتجـزأ ولا يقبل القسمة.

4 ـ لو كـان المشـركون يوحـدون توحيـد الربوبيـة كمـا يـزعم القـوم لأجـابوا على سـؤال الملكين في القـبر؟ فالسـؤال في القـبر كمـا جـاء في سـائر الروايـات الصـحيحة: "من ربـك؟"

وليس في رواية واحدة: "من إلهك"؟ فهل المشركون يوحدون حتى يقولوا في القبر: ربنا الله، أم أن الإيمان شيء واحد هو الإيمان بالله جل جلاله من حيث إفراده بالعبودية وحده، ومن حيث إنه الخالق المدبر...الخ. فعلى حد زعم ابن تيمية والوهابية أن المشركين يقولون في القبر: ربنا الله، وهو غير صحيح؛ لأن التوحيد كلٌ لا يتجزأ، ومن هنا لا يصح القول بأنهم موحدون في الربوبية إطلاقًا.ثم إليك ما قرره الإمام الآجري المتوفى 360هـ في كتابه (الشريعة 2/684) وكأنه يرد على مذهب ابن تيمية والوهابية قبلهم يقرون: "وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ قَدْ عَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلَا يُنَجِّيهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمُ الشَّدَائِدُ لَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ، فَعَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةُ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، عَلَى قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْوَحْشِيَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ، بَلْ نَقُولُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَوْلًا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةِ، وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ ....: إِنَّ الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ تَصْدِيقًا يَقِينًا، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، لَا يُجْزِئُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ".

وهذا النص وحده كافٍ في الرد على هذه البدعة المذمومة التي قالها ابن تيمية ورددها أتباعه من بعده، وجعلوها مطية ليطلقوا من خلالها ألسنتهم في علماء الأمة المحمدية واتهام المسلمين بالشرك والبدعة.

والله تعالى أعلى وأعلم وأجل وأكرم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل تجوز الصلاة في القبور، وما حكم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة، وهل يعد ذلك من قبيل اتخاذ القبر مسجداً ؟

إن قضية المساجد التي بها قبور، قضية فقهية فرعية استغلها الجهال ومبتغو الفتنة أسوأ استغلال حيث جعلوها سببًا في التفريق بين المسلمين، والتنابذ بالألقاب فذهب هذا يسب هذا ويقول إنه قبوري، أو مبتدع، أو مشرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونحن نجمع شتات الكلام في هذه المسألة عسى الله أن يفتح بهذا الكلام أعينًا عميًا، وآذنًا صمًا.

فإن هناك خلطًا بين أمور متفرقة أحدث لبسًا في التعامل مع هذه المسألة، وجعلنا كلما تكلمنا فيها لا نصل إلى شيء، ولكننا سنوضح هنا تلك الأمور، ونفرق بينها، فالصلاة في القبور ليست هي الصلاة بالمسجد الذي به ضريح، وليست هي اتخاذ القبر مسجدًا؛ ولذلك نفرق بين ثلاثة أمور :

الصلاة في القبور.

الصلاة في المسجد الذي به ضريح.

اتخاذ القبر مسجدًا.

أولاً : الصلاة في القبور :

القبر : مدفن الإنسان، يقال :قبره يقبره ويقبره، قبرًا ومقبرًا : دفنه، وأقبره : جعل له قبرا، والمقبرة، بفتح الباء وضمها : موضع القبور أي موضع دفن الموتى. والقابر : الدافن بيده.

والقبر محترم شرعًا توقيرًا للميت، ومن ثم اتفق الفقهاء على كراهة وطء القبر والمشي عليه، لما ثبت « أن النبي صلي الله عليه وسلم نهى أن توطأ القبور»([1]). لكن المالكية خصوا الكراهة بما إذا كان مسنمًا، كما استثنى الشافعية والحنابلة وطء القبر للحاجة من الكراهة، كما إذا كان لا يصل إلى قبر ميته إلا بوطء قبر آخر.

أما عن حكم الصلاة في المقابر فذهب الحنفية إلى أنه تكره الصلاة في المقبرة، وبه قال الثوري والأوزاعي، لأنها مظان النجاسة، ولأنه تشبه باليهود، إلا إذا كان في المقبرة موضع أعد للصلاة ولا قبر ولا نجاسة فلا بأس.

وقال المالكية : تجوز الصلاة بمقبرة عامرة كانت أو دارسة، منبوشة أم لا، لمسلم كانت أو لمشرك.

وفصل الشافعية الكلام فقالوا : لا تصح الصلاة في المقبرة التي تحقق نبشها بلا خلاف في المذهب، لأنه قد اختلط بالأرض صديد الموتى، هذا إذا لم يبسط تحته شيء، وإن بسط تحته شيء تكره.

وأما إن تحقق عدم نبشها صحت الصلاة بلا خلاف؛ لأن الجزء الذي باشره بالصلاة طاهر، ولكنها مكروهة كراهة تنزيه؛ لأنها مدفن النجاسة. وأما إن شك في نبشها فقولان؛ أصحهما : تصح الصلاة مع الكراهة؛ لأن الأصل طهارة الأرض فلا يحكم بنجاستها بالشك، وفي مقابل الأصح : لا تصح الصلاة؛ لأن الأصل بقاء الفرض في ذمته، وهو يشك في إسقاطه، والفرض لا يسقط بالشك.

وقال الحنابلة : لا تصح الصلاة في المقبرة قديمة كانت أو حديثة، تكرر نبشها أو لا، ولا يمنع من الصلاة قبر ولا قبران؛ لأنه لا يتناولها اسم المقبرة وإنما المقبرة ثلاثة قبور فصاعدًا. وروي عنهم أن كل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه. ونصوا على أنه لا يمنع من الصلاة ما دفن بداره ولو زاد على ثلاثة قبور، لأنه ليس بمقبرة.

هـذا بشـأن كلام الفقهـاء في مسـألة الصـلاة في المقـبرة، والمقـابر دون التعـرض لمسـألة الصـلاة في المسـاجد الـتي يجاورها الأضرحة.

ثانيا : الصلاة في المسجد الذي به ضريح :

والصلاة بالمسجد الذي به ضريح أحد الأنبياء - عليهم السلام - أو الصالحين، فهي صحيحة، ومشروعة، وقـد تصـل إلى درجـة الاسـتحباب ويـدل على هـذا الحكم عـدة أدلـة من القـرآن الكـريم، والسـنة النبويـة المطهـرة، وفعـل الصـحابة، وإجمـاع الأمة العملي.

فمن القرآن الكريم قوله تعـالى : ﴿ فَقَـالُوا ابْنُـوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًـا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَـالَ الَّذِينَ غَلَبُـوا عَلَى أَمْـرِهِمْ لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِمْ

مَسْجِدًا ﴾([2])، ووجه الاستدلال بالآية أنّها أشارت إلى قصّة أصحاب الكهف، حينما عثر عليهم الناس فقال بعضهم: نبني عليهم بُنيانًا، وقال آخرون: لنتّخذنّ عليهم مسجدًا.

والسياق يدل على أن الأوّل: قول المشركين، والثاني: قول الموحّدين، والآية طرحت القولين دون استنكار، ولو كان فيهما شيء من الباطل لكان من المناسب أن تشير إليه وتدل على بطلانه بقرينة ما، وتقريرها للقولين يدل على إمضاء الشريعة لهما، بل إنّها طرحت قول الموحدين بسياق يفيد المدح، وذلك بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحدين قاطعًا (لنتّخذنّ) نابعًا من رؤية إيمانية، فليس المطلوب عندهم مجرد البناء، وإنّما المطلوب هو المسجد. وهذا القول يدلّ على أن أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة.

قال الرازي في تفسير (لنتّخذنّ عليه مسجدًا) نعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد([3]).

وقال الشوكاني: ذكر اتخاذ المسجد يُشعر بأنّ هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل: هم أهل السلطان والملوك من القوم المذكورين، فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم، والأوّل أولى([4]). وقال الزجاجي: هذا يدلّ على أنّه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشو؛، لأن المساجد للمؤمنين، هذا بخصوص ما ذكر في كتاب الله فيما يخص مسألة بناء المسجد على القبر.

ومن السنة حديث أبي بصير الذي رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قالا : «إن أبا بصير انفلت من المشركين بعد صلح الحديبية، وذهب إلى سيف البحر، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو، أنفلت من المشركين أيضا، ولحق بهم أناس من المسلمين حتى بلغوا ثلاثمائة وكان يصلي بهم أبو بصير.

وكان يقول : الله العلي الأكبر ** من ينصر الله ينصر

فلما لحق به أبو جندل، كان يؤمهم، وكان لا يمر بهم عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا أصحابها، فأرسلت قريش إلى النبي صلي الله عليه وسلم تناشده الله والرحم، إلا أرسل إليهم، فمن أتاك منهم فهو آمن، وكتب رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهم من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم،

فقدم كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم على أبي جندل، وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده يقرأه، فدفنه أبو جندل مكانه، وبنى على قبره مسجدًا »([5]).

أما فعل الصحابة رضي الله عنهم يتضح في موقف دفن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم واختلافهم فيه، وهو ما حكاه الإمام مالك رضي لله عنه عندما ذكر اختلاف الصحابة في مكان دفن الحبيب صلي الله عليه وسلم فقال :

«فقال ناس : يدفن عند المنبر، وقال آخرون : يـدفن بـالبقيع، فجاء أبو بكر الصديق فقال : سمعت رسـول اللـه صـلي اللـه عليه وسلم يقول : ما دفن نبي قط إلا في مكانه الـذي تـوفي فيه فحفر له فيه »([6])، ووجه الاستدلال أن أصحاب رسـول الله صلي الله عليه وسلم اقترحوا أن يـدفن صـلي اللـه عليـه وسلم عند المنبر وهو داخل المسـجد قطعًـا، ولم ينكـر عليهم أحد هذا الاقتراح، بل إن أبا بكر رضي اللـه عنـه اعـترض على هذا الاقـتراح ليس لحرمـة دفنـه صـلي اللـه عليـه وسـلم في المسجد، وإنما تطبيقًا لأمره صلي الله عليه وسلم بـأن يـدفن في مكان قبض روحه الشريف صلي الله عليه وسلم.

وبتأملنا إلى دفنه صلي الله عليه وسلم في ذلك المكـان نجـد أنه صـلي اللـه عليـه وسـلم قُبض في حجـرة السـيدة عائشـة رضي الله عنها، وهذه الحجـرة كـانت متصـلة بالمسـجد الـذي يصلي فيه المسلمين، فوضع الحجرة بالنسبة للمسـجد كـان – تقريبًا - هو نفس وضع المساجد المتصلة بحجـرة فيهـا ضـريح لأحد الأولياء في زماننا، بـأن يكـون ضـريحه متصـل بالمسـجد والناس يصلون في صحن المسجد بالخارج.

وهنـاك من يعـترض على هـذا الكلام ويقـول : إن هـذا خـاص بالنبي صلي الله عليه وسلم، والـرد عليـه أن الخصوصـية في الأحكام بالنبي صلي الله عليه وسلم تحتاج إلى دليل، والأصـل أن الحكم عـام مـا لم يـرد دليـل يثبت الخصوصـية، ولا دليـل، فبطلت الخصوصية المزعومة في هـذا المـوطن، ونـزولاً على قـول الخصـم من أن هـذه خصوصـية للنـبي صـلي اللـه عليـه وسلم - وهو باطل كما بينـا - فـالجواب أن هـذه الحجـرة دفن فيها سيدنا أبو بكـر رضـي اللـه عنـه، ومن بعـده سـيدنا عمـر رضي الله عنه، والحجرة متصـلة بالمسـجد، فهـل الخصوصـية انسحبت إلى أبي بكر وعمـر - رضـي اللـه عنهمـا - أم مـاذا ؟ والصحابة يصلون في المسجد المتصل بهذه الحجرة التي بهـا ثلاثة قبور، والسيدة عائشـة رضـي اللـه عنهـا تعيش في هـذه

الحجرة، وتصلي فيها صلواتها المفروضة والمندوبة، ألا يعد هذا فعل الصحابة وإجماع عملي لهم.

ومن إجماع الأمة الفعلي وإقرار علمائها لذلك، صلاة المسلمين سلفاً وخلفاً في مسجد سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم، والمساجد التي بها أضرحة بغير نكير، وإقرار العلماء من لدن الفقهاء السبعة بالمدينة الذين وافقوا على إدخال الحجرة الشريفة إلى المسجد النبوي، وهي بها ثلاثة قبور، ولم يعترض منهم إلا سعيد بن المسيب رضي الله عنه ولم يكن اعتراضه لأنه يرى حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور، وإنما اعترض؛ لأنه يريد أن تبقى حجرات النبي صلي الله عليه وسلم كما هي يطلع عليها المسلمون؛ حتى يزهدوا في الدنيا، ويعلموا كيف كان يعيش نبيهم صلي الله عليه وسلم.

ثالثا : اتخاذ القبر مسجدًا ليس هو المسجد الذي به ضريح :

واتخاذ القبر مسجدًا الذي ورد فيه النهي عن النبي صلي الله عليه وسلم ليس هو ما ذكرنا من بناء المسجد بجوار ضريح متصل به أو منفصل عنه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »([7])، وفي رواية لمسلم زاد «قبور أنبيائهم وصالحيهم »([8]).

فعلماء الأمة لم يفهموا من هذا الحديث أن المقصود النهي عن اتصال المسجد بضريح نبي أو صالح، وإنما فسروا اتخاذ القبر مسجدًا التفسير الصحيح، وهو أن يُجعل القبر نفسه مكانًا للسجود، ويسجد عليه الساجد لمن في القبر عبادة له، كما فعل اليهود والنصارى حيث قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾([9]). فهذا هو معنى السجود الذي استوجب اللعن، أو جعل القبر قبلة دون القبلة المشروعة، كما يفعل أهل الكتاب؛ حيث يتوجهون بالصلاة إلى قبور أحبارهم ورهبانهم، فتلك الصور هي التي فهمها علماء الأمة من النهي من اتخاذ القبور مساجد.

فكان ينبغي على المسلمين أن يعرفوا الصورة المنهي عنها، لا أن ينظروا إلى ما فعله المسلمون في مساجدهم، ثم يقولون إن الحديث ورد في المسلمين، فهذا فعل الخوارج والعياذ بالله، كما قال ابن عمر رضي الله عنه ذهبوا إلى آيات نزلت في المشركين، فجعلوها في المسلمين. فليست هناك كنيسة للنصارى ولا معبد لليهود على هيئة مساجد المسلمين التي بها أضرحة، والتي يصر بعضهم أن الحديث جاء في هذه الصورة.

ولكن العلماء فهموا المراد بنظر ثاقب وهو ما اتضح في شروحهم لهذه الأحاديث، فها هو الشيخ السندي يقول بشأن هذا الحديث : «ومراده بذلك أن يحذر أمته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد إما بالسجود إليها تعظيما أو يجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، قيل : ومجرد اتخاذ مسجد في جوار صالح تبركا غير ممنوع »([10]).

وقد نقل العلامة ابن حجر العسقلاني وغيره من شراح السنن قول البيضاوي؛ حيث قال: « قال البيضاوي : لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء؛ تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثانًا، لعنهم الله، ومنع المسلمين عن مثل ذلك، ونهاهم عنه، أما من اتخذ مسجدًا بجوار صالح أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه، ووصول أثر من آثار عبادته إليه، لا التعظيم له، والتوجه فلا حرج عليه، ألا ترى أن مدفن إسماعيل في المسجد الحرام ثم الحطيم، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي بصلاته، والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة لما فيها من النجاسة انتهى »([11]).

وقد نقل كذلك المباركفوري في شرحه لجامع الإمام الترمذي قول التوربشتي فقال : «قال التوربشتي هو مخرج على الوجهين؛ أحدهما : كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم وقصد العبادة في ذلك، وثانيهما : أنهم كانوا يتحرون الصلاة في مدافن الأنبياء، والتوجه إلى قبورهم في حالة الصلاة والعبادة لله؛ نظرًا منهم أن ذلك الصنيع أعظم موقعًا عند الله لاشتماله على الأمرين»([12]).

ومما سبق فبيان حكم الصلاة بالمسجد الذي به ضريح يكــون، إذا كان القبر في مكان منعزل عن المسجد، أي لا يصلى فيه، فالصـلاة في المسـجد الـذي يجـاوره صـحيحة، ولا حرمـة ولا كراهة فيها، أما إذا كان القبر في داخل المسجد، فـإن الصـلاة باطلة ومحرمة على مذهب أحمـد بن حنبـل، جـائزة وصـحيحة عند الأئمة الثلاثة، غاية الأمر أنهم قالوا : يكره أن يكون القــبر أمام المصلى، لما فيه من التشبه بالصـلاة إليـه، واللـه تعـالى أعلى وأعلم .

([1]) الترمذي : ج 4 ص 133، والطبراني في الأوسط ج ص 153.

([2]) سورة الكهف : 21.

([3]) تفسير الرازي: 11/106 ـــ دار الفكـر ـ 1415 ـ 1995 م .

([4]) فتح القدير: 3/277 ـ عالم الكتب.

([5]) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب 4/1614 ، وصاحب الروض الأنف 4/59، وابن سعد في الطبقات الكبرى 4/134، وصاحب السيرة الحلبية 2/720، ورواه أيضا موسى بن عقبة في المغازي وابن إسحاق في السيرة، ومغازي موسى بن عقبة من أصح كتب السيرة، فكان يقول الإمام مالك عنها : عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة، فإنها أصح المغازي، وكان يحيى بن معين يقول : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب.

([6]) الموطأ : ج 1 ص 231.

([7]) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ، ج1 ص 446، ومسلم في صحيحه ج 1 ص 376.

([8]) أخرجها مسلم في صحيحه ج 1 ص 377.

([9]) التوبة : 31.

([10]) حاشية السندي ج 2 ص 41.

([11]) فتح البــاري : ج1 ص 524، شــرح الزرقــاني ج4 ص 290، فيض القدير ج4 ص 466 .

([12]) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ج2 ص 226 .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين